الدرس الثامن عشر

الحياة بعد الموت

الحياة بعد الموت

للإنسان حياتان: الحياة الأولى والحياة الأخرى.

أولاً: ـ الحياة الأولى: ـ وتسمى الحياة الدنيا، وهو لفظ مشتق من الدناوة ومن الدناءة بمعنى القلة والخسة، ولذلك وصفها الله تعالى بقوله: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1]، كما وصفها الله تعالى بأنها ﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2] وقد بين النبي ﷺ مقدار دناءة نعيم الحياة الدنيا وقلّته بالنسبة لنعيم الآخرة فقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً جرعة ماء»[3]، وللإنسان في هذه الحياة الأولى حالتان: عالم الذر وعالم الشهادة.

الحالة الأولى: ـ عالم الذر: ـ وهي التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[4]، ثم أمسكت هذه الأرواح بعد أن أخرجها الله تعالى من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام، وأشهدها على ربوبيته وألوهيته وحده، فأمسكت في عالم السماء تنتظر كل روح منها متى تخلق الجنين الخاص بها في رحم أمه، فيرسل الله تعالى الملك فينفخ هذه الروح في ذلك الجنين لتدب فيه الحياة ويصبح خلقاً آخر غير الأم كما قال ﷺ: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح)[5].

الحالة الثانية: ـ عالم الشهادة: ـ ويمر فيها الإنسان بأربعة مراحل:

---

(١) التوبة آية ٣٨.

(٢) آل عمران آية ١٨٥.

(٣) رواه الترمذي والطبراني وأبو نعيم عن سهل بن سعد مرفوعاً. وقال الترمذي: صحيح غريب. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٢٢٥ رقم الحديث ٢١٠٧.

(٤) الأعراف آية ١٧٢.

(٥) رواه مسلم عن ابن مسعود مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٤٨ كتاب القدر. باب في الخلق يخلق. والشقاوة والسعادة. رقم الحديث ١٨٤٧.

المرحلة الأولى: ـ الاجتنان: ـ ويبدأ من النطفة التي هي خلاصة الدماء حيث تنتقل بالجماع إلى المرأة فتعلق في جدار الرحم حين وصول البويضة إليه، ويتم تلقيحها فيه فتتحول إلى علقة أي دمٍ جامد مكثفٍ، ثم تتحول إلى مضغة أي قطعة أشبه باللحم الممضوغ بالأسنان، ثم تتحول المضغة إلى عظام وتكسى العظام لحماً في غضون أربعين يوماً، فيرسل الله تعالى ملكاً لتلك الروح من السماء فينفخها في الجنين في بطن الأم، ويمر بعد ذلك في المدة التي يكتمل فيها نموه، وهي تسعة أشهر في الغالب ليخرج بعدها إلى هذه الحياة الدنيا.

المرحلة الثانية: ـ الفطرة: ـ وتبدأ من الولادة إلى سن السابعة، وإليها الإشارة في قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»[1]، وفي هذه المرحلة يكون الوليد شديد التأثر والتقليد والمحاكاة للآخرين.

المرحلة الثالثة: ـ التمييز: ـ وفيها يبدأ الطفل بالتفريق بين ما ينفعه وما يضره، وعندها يجب تعليمه الصلاة لينشأ عليها، وتبدأ هذه المرحلة من سن السابعة إلى سن العاشرة، وقد قال ﷺ: «علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع»[2].

المرحلة الرابعة: ـ المراهقة: ـ وهي أخطر مراحل حياة الانسان، حيث فيها تتفجر شهواته الجنسية والوجاهية، ويستغلها فيه الطامعون في شباب الأمة من أعدائها، عبر الرحلات والمخيمات ونحو ذلك، للانحراف به عن مقتضى الدين الصحيح والأخلاق، فيحولونه إلى عامل هدم لكيان أمته دون أن يشعر، فإذا لم يتم التعامل معه على الوجه المطلوب، فإنه ينحرف عن مقتضى الاستقامة، وتبدأ هذه المرحلة من سن العاشرة إلى سن البلوغ، وفيها أمر النبي ﷺ بأخذ الولد بالشدة في إلزامه بالصلاة، وفيها أيضاً أمر بالتفريق بينه وبين أخواته الإناث

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. كشف الخفاء ح ٢ ص ١٨٢ رقم الحديث ١٩٩٠.

(٢) رواه أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً، انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٢٨٤ رقم الحديث ٢٢٨٦.

فقال ﷺ: «علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[1].

المرحلة الخامسة: ـ التكليف: ـ وهو إلزام ما فيه كلفة أي مشقة وتعب، وذلك بتحمل الأحكام الشرعية في جانب الفعل وفي جانب الترك، وتبدأ من سن البلوغ حتى الموت، وفيها يجري على الإنسان القلم كما قال ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر»[2]، فإذا استوفى الإنسان أجله الذي حده الله تعالى له انتقل إلى الحياة الأخرى.

ثانياً: ـ الحياة الأخرى: ـ سميت هذه الحياة بالآخرة لأنها لا يعقبها موت، وإنما يخلد المرء فيها في نعيم الجنة أو في جحيم النار، ولهذه الحياة الآخرة خمسة مراحل أيضاً وهي: ـ

المرحلة الأولى: ـ عالم البرزخ: ـ والبرزخ هو الحاجز بين شيئين متماثلين[3] كما قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾[4]، وسميت الحياة في القبر بعالم البرزخ لأنها فاصل بين الحياة الدنيا التي يكون النعيم والعذاب فيها على الروح والجسد، والحياة الآخرة التي يكون النعيم والعذاب فيها على الروح والجسد أيضاً، بخلاف الحياة في القبر، فإنها ينصب فيها النعيم والعذاب على الروح دون الجسد كحال النائم، وأحياناً عليهما معاً كحاله أيضاً، فقد يرى في منامه انه يضرب، وعندما يستيقظ يرى أثر الضرب على بدنه.

ويبدأ عالم البرزخ بخروج الروح من الجسد، وذلك حين يستكمل الإنسان عمره الذي قسمه الله تعالى له في الحياة الدنيا، فيأتي ملك الموت وينتزع هذه

---

(١) نفس المصدر.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن عائشة مرفوعاً. وفي رواية لأحمد وأبي داود والحاكم عن علي وعمر مرفوعاً بلفظ (رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون والمغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم) انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٥٢٣. رقم الحديث ١٣٩٤.

(٣) انظر مفردات القرآن للأصفهاني ص ١١٨.

(٤) الرحمن آية ١٩ـ ٢٠.

الروح من الجسد، ويكون ذلك بحسب حال صاحب هذا الجسد، فإذا كان صالحاً خرجت روحه بسهولة كما تخرج القطرة من السقاء، وإذا كان فاسداً خرجت روحه بعسر كما يستخرج السفود من صوف الغنم[1]، وإن كان ظاهر الحال في المؤمن والكافر بخلاف ما نراه، كما ورد الحديث بذلك[2].

وعندما ينتزع الملك الروح يصعد بها إلى السماء، فأما روح المؤمن فتفتح لها أبواب السماء، ويرحب بها الملائكة في كل سماء، حتى تصل إلى الجنة، ثم تعود إلى الأرض لتلج في بدن صاحبها في القبر ثانية، وأما روح الكافر فإنها حين يصعد بها إلى السماء لا تفتح لها أبواب السماء فترد إلى الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[3]، مفهوم ذلك أن روح المؤمن تفتح لها أبواب السماء وتدخل الجنة.

وعندما تعود الروح إلى القبر يأتي إليها ملكان أسودان أزرقان فيجلسانه ويسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ ماذا تعرف عن هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ أما المؤمن فيقول: ربي الله وديني الإسلام ومحمد ﷺ نبيي ورسولي أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق. وأما الكافر المجرم فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة يغوص بها في الأرض سبعين ذراعاً ويصرخ صرخة يسمعها كل شيء إلا الثقلان ـ الإنس والجن ـ وقد قرأ ﷺ بعد بيان سؤال الملكين قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

---

(١) رواه البراء بن عازب مرفوعاً عند الإمام أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وأبي عوانه الإسفرائيني في صحيحهما وابن حبان. انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٧٣ وص ٥٧٦، وفي رواية أبي هريرة مرفوعاً عند البزار في مسنده (فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين) انظر التذكرة للقرطبي ح ١ ص ٧٦ باب لا تخرج روح عبد.... الخ.

(٢) فقد قال ﷺ بعد بيان حال المؤمن عند خروج الروح (وإن كنتم ترون غير ذلك) وقال بعد بيان حال الكافر عند خروج الروح (وإن كنتم ترون غير ذلك) رواه أبو داود الطيالسي وعبد بن حميد في مسنديهما. وأحمد في مسنده، وصححه القرطبي وأشار إلى تعدد طرقه. التذكرة ح١ ص ١٥٢.

(٣) الأعراف آية ٤٠.

ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[1]، وعند ذلك يتحول القبر للمؤمن إلى روضة من رياض الجنة فيتسع عليه قبره حتى يكون على مد بصره ويمتلىء قبره نوراً ويفتح له ثغرة في قبره يرى منها منزلته في الجنة ـ الله أعلم بكيفية ذلك والله على كل شيء قدير، فإن أحدنا يكون في غرفة مقفلة ويرى بواسطة التلفاز ما يجري في أقصى البلاد ـ ويأتيه من رَوْحِ الجنة ونعيمها ما يبقى معه إلى يوم القيامة.

وأما الكافر المجرم فإنه يمتلىء عليه قبره ظلمة وناراً ويضيق عليه قبره حتى تختلط عليه أضلاعه ويفتح له ثغرة يرى من خلالها مكانه في النار ويأتيه من حرها وسمومها ما يجعل عليه قبره حفرة من حفر النار، ويبقى كذلك إلى يوم القيامة[2]، ولذلك قال ﷺ: «القبر أول منازل الآخرة»[3] أي (فإما أن يكون روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار)[4].

المرحلة الثانية: ـ النفخة الأولى: ـ وتكون عند نهاية أجل الكون، حيث يأمر الله تعالى الملك إسرافيل بالنفخ في الصور وهو البوق، فينشأ عن هذه النفخة خراب الكون ودماره، وذلك أن الكون يتألف ـ كما قلنا سابقاً ـ من أربعة عوالم رئيسية ـ عالم الفلك وعالم السموات وعالم الكرسي وعالم العرش ـ وعالم الفلك هو فضاء السماء الأولى ويشتمل على ما لا يعد ولا يحصى من مليارات النجوم والكواكب، التي تتوزع في فضاء الفلك ضمن نظام محكم كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ

---

(١) إبراهيم آية ٢٧.

(٢) هذه مقتطفات أكثرها من حديث البراء بن عازب المرفوع الذي رواه أبو داود الطيالسي وأحمد بن حنبل وأورده القرطبي بكماله في التذكرة ح ١ ص ١٥٢ وأورده المنذري بروايات متعددة وفيها زيادات من رواية أبي داود وأحمد بإسناد محتج برواته في الصحيح، وقال الإمام أحمد: هذا حديث صحيح الإسناد، انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٦٥ وما يليها.

(٣) رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن عثمان مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ١٣٦ رقم الحديث ١٨٥٣.

(٤) ورد ذلك في الحديث. رواه الترمذي والطبراني عن أبي سعيد ورواه الطبراني أيضاً عن أبي هرير وكلاهما بسند ضعيف. انظر نفس المصدر قم ١٨٥٢.

ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾[1] أي الطرق، وتسير بسرعات هائلة ولا يتصادم بعضها مع بعض، وعندما ينفخ الملك في الصور تخرج هذه الأجرام الفلكية عن مساراتها وتتصادم فيما بينها ومنها الحار ويسمى النجم ومنها البارد ويسمى الكوكب، وبداخل كل جرم فلكي غاز مضغوط، فإذا تصادمت هذه الأجرام وتحطمت قشرتها الخارجية تدفق الغاز من داخلها واشتعل بفعل الحرارة الكائنة في النجم، فيتصاعد منها الدخان وينتشر في جميع أرجاء الفلك، حتى يضيق عنه فضاء السماء الدنيا فتنفجر السماء الأولى وتنشق كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾[2]، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾[3]، ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾[4].

وبانشقاق السماء الأولى تنشق الثانية وهكذا حتى السابعة ليصل أثر ذلك إلى الكرسي فالعرش، فيتحطم كل شيء من هذه النفخة كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[5]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[6].

المرحلة الثالثة: ـ النفخة الثانية: ـ وذلك عندما يعيد الله تعالى الحياة إلى إسرافيل بعد النفخة التي يموت منها كل حي من المخلوقات ويتدمر بها كل شيء في الكون، يعيد الله تعالى الحياة إلى الملك إسرافيل، ويأمره بالنفخة الثانية فيعود بها إلى الحياة كل ميت، كما يرجع الكون إلى الوجود بنظامه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[7]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[8]، وبين النفختين

---

(١) الذاريات آية ٧.
(٢) الإنشقاق آية ١ـ ٢.
(٣) الحاقة آية ١٦.
(٤) الرحمن آية ٣٧.
(٥) القصص آية ٨٨.
(٦) الرحمن آية ٢٦ـ ٢٧.
(٧) إبراهيم آية ٤٨.
(٨) الأنبياء آية ١٠٤.

الأولى والثانية أربعون، قيل أربعون سنة، وقيل أربعون شهراً، وقيل: أربعون جمعة، وقيل: أربعون يوماً. وذلك لأن النبي ﷺ حين سئل: كم بين النفختين؟ قال: أربعون، قيل لأبي هريرة وهو راوي الحديث: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قيل: أربعون شهراً. قال: أبيت، قيل: أربعون سنة، قال: أبيت[1]، وقد أجاب أبو هريرة بما ذكر لأن رسول الله ﷺ لم يبين ذلك. وإن كان قد ورد في بعض الروايات أنها أربعون سنة، ولكن في ثبوتها خلاف بين المحدثين[2].

وفي هذه الفترة ترسل السماء بمطر كثيف كمني الرجال[3]، تنبت منه الأجساد في قبورها من «عجب الذنب»[4]، وفي رواية من «عجم الذنب»، كما تنبت الشجرة من بذرتها، ثم تنشق عنهم الأرض في قبورهم، وتعود إليهم أرواحهم، فيخرجون منها سراعاً، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾[5] إلى أرض المحشر للحساب.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٤٥ كتاب القيامة وأحوالها، رقم الحديث ٩٩٧١.

(٢) أخرج ابن مردوية من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد (أربعون سنة) وهو شاذ. ومن وجه آخر ضعيف عن ابن عباس قال (ما بين النفختين أربعون سنة) ووقع في جامع ابن وهب (أربعين جمعة) وسنده منقطع. انظر فتح الباري ح ٨ ص ٥٥٢ كتاب التفسير، رقم الحديث ٤٨١٤. قال ابن حجر: وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم (أربعين سنة) ولا وجود لذلك. اهـ. نفس المصدر.

(٣) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٣٠٥ كتاب الفتن. باب قصة ابن صياد. رقم الحديث ٢٠٥٢.

(٤) رواه البخاري ومسلم. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٣٨٣ كتاب البعث وأهوال يوم القيامة. رقم الحديث ٧.

(٥) القمر آية ٧.